كبرياء الألم

وراحة النفس في الشكوى ولذتها
لو أمكنت ، لا تساوي ذلة الشاكي
« أسامة بن منقذ »

للأستاذ أمجد الطرابلسي

أتظلُّ تخفق في الأضالع واهيا ... يا قلب حسبك! إن ترانى شاكيا
يا ذلة الباكى ! إذا أعداؤه ... شمتوا بهُ ، والخِل أصبح رائيا.
يا ذلة الباكى ! لَجرحى لاهياً ... أرضى لنفسىَ يا خفوق ونارِيا
اكتم لهيبك ما تقسمك الأسى ... لا يرخصن بكاك جرحاً غاليا
واشمخ بأنفك في الخطوب ولا يكن
غلف القلوب أشـــد منك تعاليا

وأتكرم الألم المخلِّد ، ولتكن ... بلظى تكتمه الضلوع مباهيا
فالكون تضحكه الدموع إذا جرت !
أتظل تضحك ذا الزمانَ اللاهيا ؟

والمجد للألم الدفين على المدى ... لا للذى يؤذى المسامع باكيا
والوجد أنبله كمينٌ صامت ... وأجله ما كان جُرحاً خافيا
كنز من الالهام لا تلقى له ... بين الكنوز مشابهاً ومساويا
يهب الجلال لمن يطيق صيانه ... والعبقرية والثناء الباقيا
يا أصدقائى الناصحين تجملوا ! ... لا تصبحوا بين الأنام ألاهيا
تبًّا لقلب لم يذق مجد الأسى ... وبِلى لقلب لا يملّ تشاكيا
أغلوا الجراح فلن تروا مثل الجوى ... للعبقرية مُنضجاً ومواتيا
إن القريض أعز مجداً من فتى ... يمسى ويُصبح ضارعاً متباكيا
لا يستحق الخلد شِعر ناحب ... تتقاطر الدبرات منه جواريا

• • •

يا أيها الشاكى ! إلى من تشتكى ؟ ... أفأنت مُلفٍ في الأنام مواسيا ؟
وإذا لقيت فإن فى إشفاقه ... ورثائه ذلاً لنفسك كافيا
أم للطبيعة ما تبث وأنها ... موقورة ما إن تجيب مناديا
تشكو فتمتنق الطيور على الرُّبى ... بين الغصون ضواحكاً ولواهيا
وتنوح والأزهار تضحك خلسة ... والجدول المِطراب يسخر جاريا
هل أسكنت يوماً لشاكى علة ... طيراً على عرش الأزاهر شاديا
أو حطمت أغصانَها لفجيعة ... أو مزقت حُللا ترف زواهيا
أوَ لم تجىء هذى الطبيعة مرة ... ولهان تفتقد الحبيب النائيا
كم جئتها قبلُ فى كنف الهوى ... وقضيتا فيها ضحى وأماسيا
الزهر حولكما يرفُّ مهنئاً ... والطير فوقكما تحوم شواديا
والغصن مخمور يصفق ناثراً ... قُبَلاً على عطفيكما ولآليا
أودعتاها الذكريات حبيبة ... تحكى أزاهرها اللطافُ غواليا
وكتبتما فوق الجذوع مواثقاً ... ونقشتما فوق الصخور أساميا
واليوم ...! تأتيها وحيداً شارداً ... ترجو بمغناها لجرحك آسيا
فانظر إليها اهل رعت ذمم الهوى ... أو خلدت ذكراً حلوْن خواليا
سائل اقلست ترى لعهدك ذاكراً ... وابحث فلست ترى لحبك راعيا
واجزع! فلن تلقى لخطبك جازعا ... واندب افلن يلقى بكاك مباليا !
ما بالها تاهو وأنت مكلّم ... تتلمس الذكرى وعهداً خاليا
إن الطبيعة غادة فتانة ... لا تعرف القلب الوفى الحانيا !

• • •

أحبيبى الغالى ، وأنت مخاطبى — !
هيا استشفَّ من القصائد ما بيا
هذا القريض يشف عما تحته . ... أتظن قلبى بعد ذلك ساليا ؟
ألهو وأضحك ليس يبصر ناظرى ... ماذا تكنُّ أضالعى وفؤاديا
أتقول : لا يذكى الهيامُ قصائدى !
لولا لحاظك ما زكتْ أشـــعاريا
أقصائد يحسن آلام الهوى ! ؟ ... يا هونهن ! ولو يكنَّ دراريا
وأنا قصيدتك البديعة صغتُها ... من فيض سحرك أبحراً وقوافيا
وبخافقى ما لو تقسمه الورى ... لوسع القلوبَ على الزمان خواليا
لكننى أغلى فؤادى أن يرى ... بين الأنام — وأنت فيه — داميا

(دمشق)

أمجد الطرابلسي